ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

مكاتباتُ مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف الهجائيّة دراسة وتحليل

م.د. عادل إسماعيل حسن محل

العراق / جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربيّة

The Satirical Correspondence of Mutref Bin Abi Mutref: A Study and Analysis

Dr. ADIL ISMAIL HASSAN
College of Education for Humanities - University of Tikrit , IRAQ

ملخص البحث:

مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف كاتبٌ من كُتّاب الدّيوان في العصر العبّاسيّ الأوّل ، لهُ أكثر من عشرِ مُكاتباتٍ في مَصعَب بن عبدالله الزّبيريّ ، يهجوهُ ويَذُمّهُ فيها ؛ منها: رسائل مباشرة إليهِ ، وأُخرى جواب عن سؤال صديقٍ لهُ يستنصحهُ في القدومِ إليهِ؛ لِيَنالَ مُساعَدَةً مالِيَةً ، إلاّ أنّ مُطَرِّف يوجّهَ صاحبَهُ بعدم النّفع والقدوم إلى الزُّبَيريّ ، وُيُجرّدُهُ من الشِّيَم الخُلُقِيّة والنّفسيّة والإنسانية كلّها ، بِأُسلوبٍ فيه قَلبَ الحقائق ؛ لأنّهُ يُحَلِّلَ الحَرام ويُحَرّمَ الحلال ، والتّقتيرُ عنده إسرافٌ والبُخلُ اقتصادٌ ؛ فضلاً عن اتباعه هواه ومخالفته للفطرة الإنسانية ، عاملاً ضدّها ، مجانباً للأصدقاء في فساد طويتِهِ ، مفسداً دينَهُ ودنياه ؛ لقُبحِ مروءتِهِ وهيئتِهِ ؛ إذْ أَجادَ الكاتِبُ في ذَمّهِ والانتقاص منه وإيذائِهِ بسبب تصرّفاته ، مستعملاً أسلوباً تعبيريّاً يتوخّى الدِّقّة في المعنى عن طريق الفنون البديعيّة ، إذْ استثمر الطِّباق والجناس والاقتباس القرآني والتّوازن والازدواج في رَفدِ عَرضِهِ لأوصافِهِ المُنَفِّرة ؛ بإبراز السّلبيّات وتشويهِ الإيجابيّات والفضائل المعنَويّة التي يتحلّى بها ، فهجاؤُهُ هِجاء المتحضِّرِ الّذي يبتعد عن السَّبِّ والشتم المباشر والتعيير بالأعراض التي عُرفت عند العرب في شعرهم القديم .

The Satirical Correspondence of Mutref Bin Abi Mutref: A Study and Analysis
Mutref Bin Abi Mutref is a clerk of Diwan in the first Abbasid er, he has more than ten correspondence about Musaab Ibn Abdullah Az-Zubeiri in which he sarcasms decries him. Some are directed to him and others are a reply for a friend's question in which he advises him to come to him to get a financial assistance. But Mutref advises his friend not to come to Ibn Az-Zubeiri stripping him from all moral, psychological and human qualities in a style in which he reverses the facts as he permits the impermissible and vice versa, stinginess, for him, is economy, he also follows his and against human innateness. He corrupts his religion and life. Thus, the writer sarcasms and belittle him and hurts him for his misconduct using a style in which he uses the most appropriate meaning via figures of speech, he uses pun, antithesis, the quotation from the Glorious Qur'an, and the balance in revealing his unpleasant qualities via mentioning the negatives and defaming the positives . Thus, his satire is civilized as it avoids insults and direct swearing , and expressing that in the ways Arabs used to sue instead .

مدخل:

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين ، سيّدنا محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ الطيّبين الطّاهرين أجمعين ، إلى يوم الدِّين ، وبعدُ :

فإنّ كتّاب العصر العبّاسيّ المثقّفِينَ تناولوا في مكاتباتهم مختلف الموضوعات التي كانت قبلهم حكراً على الشّعراء ، إذ ارتقى النّثر بفضلهم ؛ فاحتلّ مرتبةً ساميةً في التعبير عن عواطف الناس وعقلياتهم ، فضلاً عن تطوّر أساليب الأداء عن المعاني مواكبة للتطور الحضاري الذي أصاب جميع مفاصل الدولة العباسية وحاجاتها ، فتنافس الكتّاب في الولوج إلى الديوان وعبَّروا عن كل غرض وفن متأثّرين بالقرآن الكريم والسُنّة الشريفة وما سبقهم من خطب وفنون لأشهر فصحاء العرب ؛ فتمثّلوها في مكاتباتهم .

إنّ كاتبنا مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف كان أحد أُولئك الكُتّاب الذين عُنُوا بالفن الكتابي وأسهموا في تطور الكتابة الديوانية ، بيدَ أنّ الكثير من مكاتباته لم تصل إلينا ، وما وقفنا عليه يقتصر على فن واحد في (الهجاء والذم) ، وجمع تلك النصوص الأستاذ أحمد زكي صفوت في كتابِهِ: (جمهرة رسائل العرب/الجزء الثالث) ، وتجاوزت عشر مكاتبات[١]، وقد استحقّتْ – من وجهة نظرنا – الوقوف عليها ودراستها وبيان أساليبها المخصوصة التي ترتبط في موضوعه والكشف عن قوّتها الإبلاغية وقدرتها الإيصالية إلى المتلقّي، تطلّبَ البحث تقسيمه على مطلبين وخاتمة ، يسبقهما تمهيد خُصِّصَ للحديث عن بِطاقة الكاتب والمكاتبة وأشهر مرادفاتها ، وعقدنا المطلب الأول لدراسة مضامين مكاتباتهِ في الهجاء والذمّ ، وشغلَ المطلب الثاني الملامح البديعية في مكاتباته من طباق وجناس واقتباس وتوازن وازدواج، وختم البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها .

وأخيراً يمكننا القول : إنّ الكشف عن السّمات الفنيّة التي تتطلّبها طرائق الإيصال القديمة بحاجةٍ إلى جهدٍ فكريّ وبلاغيّ ؛ لإظهار الوسمات الأسلوبية وأثرها في البناء التركيبيّ لنصوص الكاتب النّثريّة وحسن صياغتها وأداء معانيها ، ولا سيّما في مكاتباتُ مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف الذي لم يخرجْ عن فن واحد ، ولذلك سنشدِّد عليهِ ؛ لتَبيانِ مميّزاتِهِ وطرائقِهِ في التعامل مع هذا الغرض .

التمهيد: بطاقة الكاتب والمكاتبات في العصر العباسيّ :

أوّلاً: بطاقة الكاتب :

لم تُسعفْنا المصادر التي بين أيدينا عن سيرة كاتبنا وحياتهِ ؛ إلاّ النّزر اليسير من المعلومات التي لا نستطيع من خلالها أنْ نقدّم صورةً واضحة المعالم عنهُ ؛ فضلاً عن معرفة انشغالاّته في المكاتَبات والموضوعات التي طرقها أو زاولها ، إذْ صمتَتْ المصادر وفقدت المعلومات عنه ، مثلما فقد الكثير مِن منجزهِ الكتابيّ .

وقد أعانتنا ترجمة ولده (أبي الوزير عمر بن مطرّف) بشذرات عن اسمه ولقبه وعمله في ترجمتِهِ التي أوردَها ياقوت الحمَويّ ؛ إذْ ذَكَرَ إنَّهُ (مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف محمّد العبديّ) الذي كتبَ للخليفة المنصور ثمّ المهديّ ، وتقلّدَ ديوان الخِراج في زَمانِهِ ، وكانَ يستدعيهِ وزيرُهُ (أبو عبيدالله معاوية بن عبيدالله بن يسار الكاتب) من حينٍ إلى حينٍ ؛ ليُعيّنهُ في الكتابة[٢] ؛ إذْ يُشير هذا النَّصّ إلى تقدُّمِهِ في الكتابة وكفايتِهِ فيها ؛ زيادةً على عمَلِهِ في الخراج ، الّذي يتطلّب مهارةً في الحساب .

وَعُرِفَ عنهُ أنّهُ من أهل مَرْوَ في خُراسان[٣] ، ولا نعرفُ عن زمن انتقالِهِ وعائلتِهِ إلى بغدادَ شيئاً ؛ لكنّه اشتُهِرَ بالمكاتبات البديعة في العصر العبّاسيّ ؛ إذْ عَدَّهُ ابن النّديم ضمن معاشر البلغاء الكُتّاب[٤].

أمّا كُنيَتُهُ فقد كانَ يُكنّى بابي عمر الوزير ، وولدُهُ هذا كتبَ للهادي والرشيد ، ولهُ مؤلّفاتٍ ، وتُوُفّيَ (مُطَرِّف في زمن الرّشيد؛ فَحَزُنَ عليهِ[٥] ، وهذا الخبر يُشير أنّ هذه العائلة ولجتْ الدّواوين العبّاسية مبكراً ، وأسهمتْ في إدارة الدّولة ، وبسبب مُطَرِّف جَعَلَ الخليفة المهديّ يوم الخميس عطلةً للكُتّاب عندما احتجَمَ ؛ تقديراً لمكانتهِ ، ولكي يستريح الكُتّاب من العمل المجهد في الدواوين ، والنّظر في الأمور ، ويكون يوم الجمعة للصّلاة ، إذْ جرى هذا الأمر إلى أيّام المعتصم ؛ فأزالَ هذا الرّسم، وألزَمَ الكُتّاب بالحضور يوم الخميس[٦].

وَلُقِّبَ مُطَرِّف بالعَبدِيّ[٧] ، إلاّ إنّ ابن طيفور– في مخطوطه المنظوم والمنثور – يورِدُ نصّاً لهُ يحمل لقب اللّيثيّ في رسالةٍ نقلها عنه أحمد زكي صفوت[٨] ، وهذا يُشيرُ إلى أنّهُ عربيّ الأصل .

أمّا تاريخ وفاتُهُ فقد شابها الاضطراب وسوء النّقل وعدم التثبّت ؛ إذْ رُوِيَ إنّهُ توفّيَ سنة(١٤٤هـ) ، وهذا غيرُ صحيحٍ ؛ لأنه كتبَ للمهديّ الذي تقلّدَ الخلافة بعدَ أبيهِ المنصور عام (١٥٨هـ) ، وقيلَ غير ذلك ، وربّما تكون هذه السّنة هي لوفاة والدهِ(محمّد العبديّ) ، ولا يمكننا تحديد وفاته بِدِقّةٍ ، ويبدو لنا أنّ العمر امتدّ بهِ معَ العمل في الدّواوين إلى زمن الرّشيد .

ثانياً : ما بينَ المكاتبة والرسالة :

تعني المكاتبة في اللغة أنْ يكاتِب الرّجل عبده أو أمَته على ما يؤدّيه ، وجاءَ في قوله: تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [٩]، والكتابة مصدر كتبَ[١٠] ، وكاتَبَ صديقه راسله ، وتكاتَبَ الصّديقان تراسلا ، والكاتب من يتعاطى صناعة النثر ، ومن يتولّى عملاً كتابيّاً إداريّاً[١١]

، وَجاءت الكتابة على صيغة فِعالة مصدراً للفعل الثلاثيّ الدّال على حِرفةٍ ومهنةٍ، والكتابُ يَنُصُّ على الكلام المُدَوّن والمجموع، وقيل: كتبَ الكتاب؛ أي: جمعه حرفاً إلى حرفٍ[١٢].

أمّا المكاتبة في الإصطلاح : فإنّها تدلُّ على الخطاب الكلاميّ المكتوب بالقلم بين الكاتب والمكتوب إليهِ ؛ لتبليغ ما يَهُمّ الطّرفَين[١٣]، وبهذا التّحديد ينصرفُ الأمرَ إلى أشهر مرادفات المكاتبة ، وهي الرسالة التي يؤدّيها الكاتب ويبعثها إلى المكتوب إليهِ مدوّنةً، وقد يُرسلها شفوياً ؛ إذْ شاعَ استعمال مصطلح المكاتبة جنباً إلى جنبٍ مع مصطلح الرسالة التي كانت أكثرُ شهرَةً منهُ وتداولاً بين الكُتّاب في المؤلّفات الأدبيّة[١٤] في جميع العصور الإسلاميّة .

والرّسالة في مفهومها اللُّغَوِيّ تعني: إرسال الإبل إلى الماء قَطيعاً بعد قطيعٍ[١٥]، واشتُقّ لفظها من المادّة اللُّغويّة(ر.س.ل) ، والرَّسلَ : القطيع من كلّ شيءٍ ، والجمع: إرسالاً[١٦]، والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليهِ والإسم: الرّسالة ، والرّسول بمعنى: الرّسالة، يونّث ويُذَكّر ، ولها مُرادفات أخرى[١٧] ، وغالباً ما تكون شعراً ؛ لِقِلّة الكتابة في عصر ما قبل الإسلام .

وبعدَ توسُّع الدّولة في العصر الإسلامي زادت الحاجة إلى كتابة الرّسائل النّثريّة ؛ فَتَمّ إنشاء ديوان الرّسائل ، وتعني الرسالة: المكاتبة ، ويقوم كاتب بإنشائِها في موضوعٍ معيّنٍ ويوجّهها إلى مُتلّقٍ(مرسلٍ إليهِ) ؛ قَصْدَ الإبلاغ عن غيرِهِ أو من تِلقاءِ نفسِهِ، وقد عرّفها العربُ فَنّاً تؤدّى بهم حاجاتهم شعراً ونثراً ، وتأتي على عدّة أنواعٍ ، أهمّها: الرّسائل الدّيوانيّة والإخوانية ، والتي يُطلق عليها الرّسائل الاجتماعية الخاصّة، والرّسائل الأدبية وغيرها[١٨]، وزادَ الاهتمام بها والتّأنّق في تحبيرِها وإطالتها أو إيجازها على وفق الموضوع ومقام المكتوب إليهِ .

ثالثاً: الرّسائل في العصر العبّاسيّ :

ازدهرت الفنون ، ومنها: المكاتبات في العصر العبّاسيّ ازدهاراً واسعاً تماشياً مع حاجة الدّولة وإدارتها[١٩] ، وشملت جميع مناحي الحياة ، وأصبحت المكاتبات وسيلةً مهمّةً في تسهيل أعمال ديوان الرّسائل ونشاطه المعتمد على كبار الكتّاب الّذين زادوا من تحسين أداء المكاتبات بين المركز والأطراف[٢٠] ، وَشارَكَ الخُلفاء ووزراؤهم الكُتّاب، فتبادلوا معهم الكتب الرّسميّة والخاصّة ، وما يتعلّق بالمصلحة العامّة، بحيث كانَ ديوان الرّسائل امتداداً طبيعيّاً لمكاتبات ما سبقهم ، مستندينَ إلى أعراف وسنن كتابيّةٍ ذات طبيعةٍ إيجابيّةٍ في صلتها غير المنقطعة من التّرسُّلِ وأُصولِهِ في العصور الأدبية[٢١] ، فَتَرَقّى التّجويد الفنّيّ الكتابيّ في الموضوعات المختلفة ؛ حتى تفوّقَ الكتّابُ في صورٍ مختلفةٍ على الشُّعراء بصورةٍ ملحوظةٍ ، ولا سيّما في الموضوعات الوجدانيّة ، وتَحَوَّلَ ديوان الرّسائل في العصر العبّاسيّ إلى مؤسسّةٍ متطوّرةٍ ، وموظّفوهُ الكُتّاب من أقربِ الرّجالِ إلى الخلفاءِ وأسبقِهِم إلى منصب الوِزارة ، وكان لهم ذوقٌ أدبيٌّ وفنّيٌّ جميلٌ[٢٢] ، أعانَهُم على تأدية المعاني المطلوبة وإيصالها إلى المُتلقّينَ والتّأثير فيهم ؛ فضلاً عن إفهامهم المُراد والمقصود ، وجعلهم يتفاعلونَ معه بتعميق الأثر النّفسيّ في تحقيق الإجابة المرجُوّة .إنّ أشهر المكاتبات في العصر العبّاسيّ تأتي على نوعين:- الأول : الرّسائل الدّيوانيّة أو ما يُسمّى بالمكاتبات الرّسميّة، وغالباً ما تُكتَبُ عن الخُلفاء والوزراء والولاة والعُمّال أو تُوَجّهُ الكُتّب نحو ديوان الخلافة عن طريق البريد الرّسميّ، أمّا الثاني: فالرّسائل الإخوانية التي نَمَتْ قبل العصر العبّاسيّ وتوسّعت بشكلٍ كبيرٍ فيهِ وتبادَلها الأصدقاء في مناسباتٍ شتّى[٢٣] ، وَعبّرَتْ عن عواطف الأفراد ومشاعرِهِم ، وشملتْ مختلف الأغراض من(مدحٍ وهجاءٍ وعتابٍ واعتذارٍ وزيارةٍ ومَوَدّةٍ وشفاعةٍ إلى غيرِ ذلك) [٢٤]، وكانَ مِنَ النّادِرِ أداؤُها قبل العصر العبّاسيّ بوساطة النّثر ؛ لأنها من موضوعات الشّعر ؛ فاستَوعَبَ النّثر موضوعاته استيعاباً بشكلٍ جَليّ على أيدي طبقَةٍ من الكُتّاب المَهَرَة الّذين يُعَبّرونَ عمّا يريدونَ بِيُسْرٍ وطَواعيّةٍ ، في تأديَة المعاني بِدِقّةٍ أقدر من الشّعر المرتبط بِضوابط الوزن والموسيقى[٢٥] ؛ إذْ أسهَمَ الكُتّابُ المثقّفون في الكشف عن مخبوءات الأفكار ومعانيها ورفدوها بأساليب بارعةٍ أغنتها الحضارة العبّاسيّة وعمّقَتْ طرائِقَ أدائِها ، وقد تَسَلَّحَ الكُتّاب بوسائلِ التّعبير الّتي غذّتها مؤهّلاتُهُم الطبيعيّة والمكتسبة ؛ فَضلاً عن الحريّة التي نالوها في التّعبير عن مكنونات أنفسهِم ، ما جَعَلهم يتبارَونَ في وُلُوجِ الموضوعاتِ بوساطة النثر[٢٦] ، من دونِ تعقيدٍ ، وبطريقةٍ لافتةٍ للنّظَر؛ ما لم يُتِحْ للكتابة في عصرها الأول .تتناول الرسائل الشّخصيّة موضوعات شتّى بين طرفين متكاتبين تُظهِرُ قدرة الكاتب وأسلوبه في التعبير عن موضوعهِ، فيكونُ متميّزاً في بعضٍ منها ، وقد يشتهر في أُخرى ، وربّما تسلُكُ سُلوكاً متناقِضاً إذا اختلفَ المتكاتبان وتبادَلا الاتهامات والمخاصمة ؛ فَتتحوّل إلى الهجاء والذّمّ ، ويمكن لنا أنْ نُطلِقَ عليها الهِجاء الإخواني ، الّذي يصدر بفعل تضارب مصالح الأصدقاء وتحوّلها إلى الكُرْهِ والعداء ، وتُحدّدُ طبيعة المكاتَبة الأغراض الشّخصيّة التي تكون بعيدةً عن الطّوابع الرّسميّة ، ويجري هذا بين شخصَين أو أكثر من إخوانِ الأدب[٢٧] ، فأصبحَ لها روافد مُحمّلَة بضروبٍ من التّطوّر[٢٨] التي تألّقَ بها كُتّاب العصر العبّاسيّ مُعَزّزين كتاباتهم بآياتٍ قرآنيّةٍ كريمةٍ وأشعارٍ عربيّةٍ أصيلَةٍ وأمثالٍ وحِكَمٍ وغيرها[٢٩].

وفي ما يأتي دراسة مكاتبات مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف الّتي انصبَّتْ في موضوع الهِجاء والذّمّ ، وتركّزت حولَ صديقٍ كشفَ عن معايبه الشائنة التي ينبغي على الآخرين تجنّبُها ؛ لإزرائِها بصاحبِها وانتِقاصِها منهُ .

المطلب الأول: مكاتباتُ مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف :

قبل الخوض في المضامين الكتابية نبيّن أنّ لفظة الهجاء مأخوذة من هجا يهجو هجواً وهجاءً ، بمعنى: شتمه بالشِّعر، وهو خلاف المدح ، وهاجَيتُهُ وهَجَوْتُهُ وَهَجانِي تقع بين الشاعرين يتهاجيان ، وهم يهجون بعضهم بعضاً[٣٠].

إنّ موضوع الهجاء في الشّعر ، بَيدَ أنّ مُطَرِّف قَصَرَ مكاتباتِهِ عليهِ وتوَسَّعَ فيهِ مُستغِلاً طاقة النّثر ومرونته في الإفادة من الغرض الشّعريّ ؛ إذْ شَكَّلَ الأمر ظاهرةً في المواضيع الاجتماعية في مكاتبات العصر العبّاسيّ ، توازي ما كان للشعر من مكانةٍ في هذا الموضوع المؤثّر في المجتمع الذي ينهض على الصاق المساوئ وطمس المحاسن وإخفاء الصّفات الحميدة فيُنْسَبُ المهجوّ إلى اللّوم والبُخل وقبح الوجه وَصِغَر الحجم وضؤولة الجسم[٣١]، وغير ذلك من المعايب ، ويَرى ابن وهب الكاتب أنّ الهجاء أحّد أغراض الشعر الأربعة ، المدح والهجاء والحكمة والوصف ، ويكون من الهجاء والذّمّ: العتب والاستقصاء ، والتّأنيب وما أشبَه ذلك[٣٢]، أمّا الذّمّ فَلَهُ سعة في المدلول اللّغويّ والاصطلاحي فتداخل مع الهجاء وعناه بالمعنى ، فالذّمّ نقيض المدح ، وهو اللّؤم في الإساءة وإلصاق التُّهَم بالمُقابل ، وهو يرتبط بالهجاء من حيث معانيه[٣٣]، وجرى الذّمّ بينَ المُتخاصمين في النّثر العربيّ القديم ، في خطب المنافرات والمناقضات في محاولة الانتقاص من الآخر والتّفوّق عليهِ ، وبرع كتّاب العصر العبّاسيّ في إيذاء الآخر بطرائق عجيبة تحمل دِقاق المعاني وتفريعاتها واستعمالاتها بقصدٍ ووعيٍ، ومنهم كاتبنا مُطَرِّف الذي هجاَ أحّد أصحابهِ وَذَمَّهُ ، وهو عبدالله بن مَصعَب الزّبيريّ[٣٤] ، ولهُ فيه جُملة من المكاتبات اشتملَ عليها كتاب جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صَفوت ، الجزء الثالث[٣٥]، منها: ثلاثة كتب كانت جواباً عن سؤالِ صديقٍ في القدُومِ على الزّبيريّ واستمناحَهُ مالا يُعينهُ على دهرِهِ ، ويبدو لنا من خلال النّظَر في نصوصه أنّها تنصرف إلى أفعال الموصوف(الزّبيريّ) في محاولةٍ لإمحاء حمدهِ وفضائلهِ وخيره من أذهانِ المُتلقّين ، وترسيخ ذمّه بطريقةٍ تشي بالإساءة بنقض الشِيَم المحمودة ، ووصمهِ بنكولِهِ عن حقوق الأصدقاء ومجانبة الأخوة بالأعراض ، والعمل على تنقيصِهِ والزّرايةِ بهِ ؛ بعدم نهوضِهِ بإسعافِ حاجاتِ المتوسّلينَ منهم إلى ما في يَدِهِ ؛ عازِمَاً على تشويهِهِ بسُخريّةٍ لافِتةٍ ، لا تَحْملُ فُحش القول والسَّبَّ الظّاهر والتعبير بالفِعال مثلما كان ذلك عند العرب قبل العصر العباسي؛ بَل سعى كاتبنا إلى طريقةٍ متحضّرةٍ في الهجاءِ مغايرةٍ لمعايير الأخوة والصّداقة ؛ غيرُ معنيٍّ بما حَمَلَهُ الإسلام من شعائِرَ في التماس العُذر للإخوان ، وربّما كان ممّا أوجبتهُ العلاقات المتحضّرة والمستجدة على مجتمع العباسيين .

بَدَأَ كتابَهُ الأول مباشرةً بعد((أمّا بعدُ، فإنّكَ كتبتَ تسألني عن عبدالله بن مصعب)) [٣٦] ، دَلَّ الاستفتاح على سؤالٍ حَمَلَ طَلَبَاً لم نقِفْ أو نَطَّلِعَ على محتواه ، سِوى إشارة مُطَرِّف: (كتبت تسألني) ، وهنا يبدأُ الكاتب بطريقةٍ استغلّها بالهجومِ على الزّبيريّ بعدَ أنْ عَرَفَ قَصد صاحِبِهِ المُستنصح لهُ ؛ فَأجابَهُ بِصراحةٍ سريعةٍ ، قائِلاً:((كأنك هممت به أو تريد القدوم عليه، فلا تفعل– أمتع الله بك – فإن حسن الظنّ به لا يقع في الفهم إلاّ بخذلان الله، وإنّ الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلاّ من سوء التوكل على الله عزّ وَجَلّ، وإنّ الرجاء لما في يده لا ينبغي إلاّ بعد اليأس من روح الله، لأنّه يرى أن الإقتار الذى نهى الله عز وجل عنه هو التبذير الذى يعاقب الله فيه، وأنّ الاقتصاد الذي أمر الله به هو الإسراف الذى يعذّب الله عليه)) [٣٧].

حمَلَتْ الفِقرة مطلب السائل وقصدَهُ بوساطة التراكيب(هَمَمْتُ بِهِ أو تُريد القُدوم عليهِ)، فإنّ الإجابة ارتبطت بتركيب النَّهْي(فلا تفعل) الذي خَرَجَ إلى النّصح، وأرادَ أنْ يُعَزّز نَهيَهُ بالدُّعاء لهُ(أمتَعَ اللهُ بك) إمعاناً في إثبات ذلك في نفسِهِ مقدّماً لهُ ثلاثة أسباب زيادة في إقناعه ، أولها: أنْ لا يحسن الظن بهذا الرجل . وثانيها: الطمع في ما عنده لا يخطر على قلبه ، وآخرها: أنّ الرجاء بما في يده لا يقع إلاّ بعد اليأس من روح الله , وبهذه الطريقة يحاول الكاتب تصوير الزّبيريّ بصورةٍ تثبت في نفس صاحبه حجةً مقنعةً ؛ بعدم النفع منه بأيةِ وسيلةٍ كانت ، وقد حملت من الذم ما يكفي من ترسيخ مفهوم التقتير الذي نهى الله عنه ؛ بِعدِّهِ تبذيراً عنده يعاقب الله عليه، وكذلك الاقتصاد عنده ؛ هو الإسراف بِعينهِ ، الذي يُعذّبُ الله عليهِ , ويستمر الكاتب في فضح الزّبيريّ بسلبهِ كلّ صفةٍ أو قيمةٍ حسنةٍ في شخصيّتِهِ، ضارباً له مثلاً بصورة بني إسرائيل فإنهم ((لم يستبدلوا العدس بالمَنّ , والبصل بالسلوى ؛ إلاّ لفضول أحلامهم ، وقديم علمٍ توارثوه عن آبائهم .... وإنّ الجود فسوق , وإنّ السخاء من همزات الشياطين))[٣٨].

إنّ بني اسرائيل استبدلوا الأدنى بما هو خير ؛ بسبب أحلامهم وَشَكّهم في كلّ شيءٍ ، وتوارثوا ذلك عن آبائهم ، فكلّ حسنةٍ يرون السيئةَ خيراً منها ، وكان من ذلك عدّهم (الجود – فسوق , والسخاء من همزات الشياطين) ، وهنا يعمل الكاتب على قلب الموازين والتمسك بالأسوأ ؛

مع سعيه إلى توكيد ذلك بضرب الأمثلة المقنعة ؛ متخذاً من قصص الأقوام السالفة التي قطع الله دابرهم ونهى المسلمين عن متابعتهم، على نحو: آل مدين وعاد، في قوله:: ((وكأن لم تأخذ الرجفة آل مَدِيْنٌ عنده ؛ إلاّ لسخاءٍ كان فيهم ، ولم تُهلِكْ الريح العقيم عاداً ؛ إلاّ لتوسعٍ ذُكر عنهم)) [٣٩] ، فالزّبيريّ في نظره يخشى العقاب على الإنفاق .، ويَجِدُ الثّوابَ على الإقتار ؛ حتى يتجنّبَ ما أصابَ آل مدين وعاد من الهلاك ، رامياً إلى نفي (السخاء) عنه ؛ خشية الفقر ، متمسكاً بنصحهِ بالبخل ، في قوله: ((– يرحمك الله – على مكانتك ، واصطبر على عسرتك .... عسى الله أنْ يبدلنا خيراً منه زكاةً وأقربُ رُحماً)) [٤٠]، وهنا يلتمس من صاحبه عدم القدوم على الزّبيريّ ؛ لمعرفة النتائج مسبقاً ، داعياً له أنْ يصبر على عسره ، وأنْ يعوّضهم الله رفيقاً خيراً من هذا الصاحب ، وأكثرُ رحمةً بأصدقائه ؛ متّخذاً من استدعاء الآية القرآنية : ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ [٤١]، دليلاً على صدق دعوته ؛ بأن يهيئ لهما صديقاً بارّاً بأصحابه.

وتضمّن الكتاب: الجوابين الثاني والثالث لمطرّف المضمون نفسه ؛ وهي الإجابة عن سؤالٍ آخر لصديق مُطَرِّف، وعرضه بالطريقة نفسها .

وفي كتابٍ آخر كان الدخول فيه مباشرةً ؛ بعدما جاء فيه :((فإنّ من الناس مَن تحمل حاجته أهون من فحشِ طلبهِ , ومنهم من حَمل عداوته أخفُّ من ثُقلِ صداقتهِ , ومنهم من إفراط لائمتهِ أحسنُ من قدر مدحتهِ ...)) [٤٢] .

قسّمَ الكاتب أصناف الناس وشدَّدَ على ذكر من لا خير فيهم أبداً ، وجعلهم ثلاثةً ؛ واصفاً لهم :

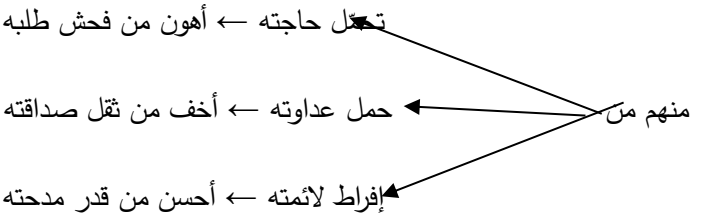

يَكادُ مَن يتّصف بهذه الأوصاف ؛ يجعلكَ أمام خيارين كلاهما شنيع في حالة التعامل معهم ؛ بيدَ أنّ أحدها أخفُّ وطأةً من الآخر؛ عاملاً من إسم التفضيل وسيلةً لإعطاء درجةً في المفاضلة على الطرف الآخر (أهون – أخفّ – أحسن) وزيادةً في الترجيح, فحمل الحاجة أشدّ من فحش الطلب , ومن تحمل عداوته أيسر من عبءِ صداقتهِ, ومنهم: من أفرَطَ في لومه أفضل من الثناء عليه والإشادة به , فالخيار بالأخذ غير موفق مع الحالات التي وصف بها صاحبه ... ليختم مكاتبه باستهجانٍ وسخريةٍ لاذعةٍ، في قوله:((وإنّ الله خلق أبا بكرٍ [٤٣] ؛ ليَغُمَّ بهِ الدُّنيا, ويقذّر بهِ أهلها, فهو على قذرهِ فيها من حُجَجِ اللهِ على أهلِها, فأسأل الذي فَتَنَ الأرض بِحياتِهِ، وَغَمَّ أهلَهَا بِطُولِ بَقائِهِ ؛ أنْ يُديلَ بطنها على ظهرِها ، والسّلام))[٤٤].

هذا هجاءٌ صريحٌ وسخريةٌ قاتلةٌ ؛ إذْ صَوَّرَهُ بصورة القذارة والنجاسة ؛ استحقاراً لفعلهِ ، وَقَسَى عليهِ , في قوله:(ويقذر به أهلها) ، مكرّراً كلمة(قذر) ؛ كونه بات من حجج الله على أهل الدنيا ، وجعَلَ حياتَهُ فتنةً للأرضِ ، فَدَعَا اللهَ أنْ يَقلِبَ بطنَ الأرض على ظهرِها ؛ مثلما تمّ فِعلُهُ مع الأقوام الجاحدة الكافرة ، وينتقم منهُ مُوارِياً قذارتَهُ وسوءَتُهُ بميتةٍ شنيعةٍ , وبهذا العرض الساخر المؤلم بالغ في إيذاء الزّبيريّ ؛ فضلاً عن كشفِ تصرفاتهِ بين الناس ، التي صارتْ هَمّاً وغَمّاً عليهم ؛ لِشدّةِ ثقلهِ , وبهذه الطريقة يُهَوِّنُ الكاتبُ مِن قَدَرِ الرّجل في الذّم ؛ لتصرفاتهِ وتعاملاتهِ مع الآخرين ؛ حتى أصبحَ ممجوجاً لا يقبله أحد ، ولمطرّف كتبٌ أخرى فيه تتقارب مع عرضنا لهذا النص والشاهد يفي بالمطلوب .

وفي محاولةٍ أخرى للكاتب ما وجهه إلى الزّبيريّ مباشرةً ؛ ولكن بطريقةٍ تجريديةٍ أُخرى ، قوله:(فإنّي قد ظَنَنْتُ أنَّهُ لم يَدَعْكَ إلى خلافِ أمير المؤمنين في عهدهِ ووصيّهِ, وتركِ ما أمر به من القسم في رعيتهِ, ومع البغض لأهلِ بيتهِ ، والعزية على قرابته , أنك لم تر ان تمسك النار إلاّ اياماً معدودةً ...)) [٤٥] .

يؤكّد الكاتبُ على جانبٍ شرعيٍّ مهمٍ ، يتضمّن الخروجُ على عهدِ أميرِ المؤمنينَ وَوَصيّهِ ؛ الذي يُعَدُّ خُروجَاً على وَلِيّ الأمر والطاعة ؛ ما يُوْجِبُ العقوبةَ على قدرِ أهميةِ الخروج , فكانت المخالفة لأمير المؤمنين الذي يقسم عدلَهُ بين رعيتهِ ، ولا سِيّما في أهل بيتهِ ، وتحدّثَتْ نفسَكَ بالعقوبة والظلم وكُرْهِ أهلِ بيتهِ ؛ معتقداً بأنّ النار لن تَمسَّكَ بِعذابها (إلاّ أيّاماً معدودةً) ، وتَحدّثَ الكاتبُ على لسانِه ؛ قائلاً: ((إنّكَ فكّرتَ في ذلك ؛ وقد قدّرتَ ، فقُلتَ : نصيحة ظاهرة , ومزية غائبة , ومتعة عاملة, ومواعيد آجلة , وتهاونتَ بعذابِ الآخرة ؛ ولو قد لقيتَ أبا مسلمٍ وأتيتَ الحَجَّاج, وجَمَعَ بينَك وبينَ أخويكَ مروان بن الحكم ومسرف بن عقبة...)) [٤٦].

فَكّرَ الزّبيريّ ، ولم يهتدِ إلى طريق الحق ، وحاد عنه ، فأخطأَ التقدير ؛ فوَقَعَ في مزالق الهاوية العاجلة من طمع الدنيا على الأخرة ، فَفَضَّلَ الزائل على الخالد ؛ فاستحب الدنيا على الآخرة , وضرب له بأمثلةٍ من الدنيا ؛ كأبي مسلم والحَجّاج ومروان بن الحكم، وغيرهم ، ممّن عملوا

للدنيا ونسوا حظاً من الآخرة ، وهذا أسوأ تقديرٍ وخسرانٍ مشيراً في قوله:((لقد أعلمك القوم جميعاً أنهم وجدوا مثقال الذرة مكتوباً ووزن الحبة محسوباً وأنّهم قد أخذوا بأيسر من ذنبك وعُذِّبُوا بأصغر من جرمك, وأنّ الأيام ليست كما عَدَدْتَ, وإنّ المدة على غير ما كنتَ حسِبتَ ...))[٤٧].

انطوت هذه الفقرة على مضمونٍ إخباريّ سابقٍ ؛ تمّ كشفُهُ بتصوّرٍ أو منامٍ مُتخيّلٍ عن شخصياتٍ مشهورةٍ ، كشفوا عمّا فَعَلَ بهم جرّاء أعمالهم ؛ فإنّهم حوسبوا على الصغيرِ والكبيرِ ؛ لأنّ ذلك مسجلٌ عند الله من وزن الذرةِ وحبة الخردل ، سواءً أكانت في خيرٍ أم شرٍّ ، قوله تعالى:﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه** ﴾[٤٨]، وقد عُوقبوا وهم دُوَلٌ ، والمدة مهما طالت لا تدوم ؛ لكنّ الرجل عمد إلى الغواية غير مرعوٍ بما سبقه ، ناسياً عذاب الله ، وعمدَ إلى الإساءة في التقدير ، وحصدِ الخسران المبين ؛ لأنّه لا يسمع النصح أو يأخذ بوعظ الآخرين؛ معتمداً على عقلهِ الذي أفسدَ تصرفاته ؛ ليقعَ فيما بعد مع من أساءوا وحقّ عليهم عقاب الله تعالى ، الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها وعليه حسابها .

وارتأينا أنْ نقف على كتابٍ كاملٍ له نعرضه كاملاً للمتلقي ؛ لننهي هذا المطلب , قال فيه : ((أمّا بعد , فإنّ الله قد وعدَكَ وعداً حسناً , فلستُ أدري ؛ أ طالَ عليكَ العهدُ ؛ فقسا قلبُكَ، أمْ أرَدْتَ أنْ يَحِلّ عليكَ غضبٌ من ربّكَ، فأخلفتَ موعدَهُ الذي وعدتَهُ , ونقضتَ عهدَهُ الذي عاهدتَهُ , وصحبتَ أعداءَهُ ، فيدفعُكَ عن أولئك, فلا دعاؤُهُ نفعَكَ, ولا دفعُهُ مَنَعَكَ؛حتى نَفَرْتَ على وجهِكَ﴿ **كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ** ﴾[٤٩]، وقد ألقيتَ حِملَكَ من كتابِ الله , ونزعتَ حبلَكَ من عُروَةِ اللهِ , فما أدري– أيّها الرّجلُ– مَن استخلفتَ من أهلكَ ، أَمْ بِمَن تَثِقُ في حالِ غُربتِكَ, أَمْ على من تتّكلُ في هَوْلِ سَفَرِكَ؟! أَ بِاللهِ أَمْ عليهِ ؟! فكيفَ ؛ ولستُ أخافُ عليكَ أَحَدَاً غيرهُ ؟ ، والسلام)) [٥٠] .

أَكّدنا سَلَفاً أنّ رسائله ومكاتباته تجري على هذه الشاكلة ، فهو يُشهّرُ بصديقهِ بمخالفاتِهِ لأوامرِ اللهِ واعتمادهِ على عقلهِ ونفسهِ ، وليسَ على اللهِ وشرعهِ ؛ مستعملاً الحُجّةَ بالآيةِ القرآنية التي استدعى معناها في رسالته الموافقةِ لفعلِ صاحبهِ الزّبيريّ ، قوله: ((فإنّ اللهَ وعدَكَ وعداً حسناً ... أَ فَطَالَ عليكَ العهدُ ؟ ... فأخلفتَ موعدَهُ ؟)) ، فقد استقاها من قولهِ تعالى: ﴿ **فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي**﴾[٥١] ؛ إذْ تَصَرَّفَ الرَّجُلُ تَصَرُّفاً أَحَلَّ غَضَبَ الله عليهِ ؛ فَقَسَا قلبُهُ ؛ لأنّهُ (أَخْلَفَ وعدَهُ – نقَضَ عهدَهُ – صَحِبَ أعداءَهُ) وهذه الأفعال مخالفة لأوامر الله تعالى ؛ ممّا أوجب غضبه عليه , مستعملاً أُسلوب الاستفهام الإنكاري ؛ لذلك (أ فَطالَ عَليك العَهدُ ؟) فيدفعكَ أولئكَ , فكانت النتيجة ؛ عدم النفع بالدعوة والدّعاء، فَنَفَرَ على وجههِ (حائراً) ، وهذا ما وضَّحَهُ المقتبس المباشر من القرآن الكريم ؛ في تشبيههِ بما ينطبقُ على صورةِ حالِهِ في قولهِ تعالى: ﴿ **كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ** ﴾[٥٢] ، فَتَمَّ انجِرارُهُ وراءَ نفسهِ وهواهُ والشياطين ؛ مِمَّا نَزَعَ عنهُ عُروةَ اللهِ وميثاقَهُ ؛ مستعملاً الاستفهام الذي خَرَجَ مَجَازاً إلى التبكيتِ والتحقيرِ ، دليلاً على ذلك الاستخفاف به (فَمَا أدري – أيّها الرَّجُلُ – مَن استخلفْتَ على أهلِكَ؟ ، أَمْ بِمَن تَثِقُ في حالِ غُربتِكَ؟ ، أَمْ على مَن تَتّكِلُ في هواكَ؟) فَعَجِبَ الكاتبُ في هذه الفقرة من حال الزّبيريّ ، ولَم يُسَمِّهِ بِإسمِهِ تحقيراً وتقليلاً من شأنِهِ (الرجل) ؛ لأنّهُ تَخَلَّى عن اللهِ ؛ معتمداً زيغ عقلهِ ، واستهواءِ الطاغوتِ له ؛ متسائلاً في خطابِهِ عن استفهامٍ آخر (كيف) الدّال على الحال ؛ مؤكّداً مرةً أُخرى على نصحِهِ وإيمانِهِ وثقتِهِ باللهِ التي فارقها صاحبُهُ (ولستُ أخافُ عليكَ أَحَدَاً غيرُهُ) ، أي: غَيْرَ الله تعالى ، وهذا من جوهر الإسلام وحقيقةِ الإيمان ، وَخَتَمَ المُكاتبةَ بِالسّلامِ ؛ وهي لفظة طبيعية في ختم المكاتبات والرسائل ، وَتَدُلُّ على تحيةِ الإسلام والسلامة من كلّ شيءٍ .

تُشيرُ هذه الطريقة الاستصغارية الهجائية الذّميّة إلى أنّها لا تنتمي إلى أساليب القدماء ولا تنهضُ على وسائلهم في الهجاء المَحْضِ بسلبِ القيم المادية والمعنوية الحسنة منهُ ؛ وإنّما تقومُ على التَّخلّي عن التوّكلِ على اللهِ ، والابتعاد عن طاعتهِ ، ومخالفةِ أوامرِهِ، والتَّمسُّكِ بغوايةِ الشيطان ، والانجرارِ وراء إملاءاتِ العقلِ ؛ بمخالفةِ الشَّرعِ والنصيحةِ , وَدَعمَ الكاتبُ مكاتباتَهُ بنصوصٍ من آيِ الذكرِ الحكيمِ ؛ مُقدّماً الحُجّة البرهانية دليلاً ؛ لحشرِ صاحبهِ في زاويةِ التّهكُّمِ والازدراءِ لِمَا يَصِيرُ إليهِ ، بمعرفةِ حالِهِ ؛ فَعَرَضَ تَصَرُّفُهُ بأُسلوبٍ يجعلُ المُتلقّي يَنْفُرُ منهُ ويَتطيّرُ مِن اسمه ويقطَعُ أيَّ أَمَلٍ مِن نَفْعِهِ، وكَفَى بذلكَ تقبيحاً للشخصِ وزيادة سوئِهِ سُوءاً .

سارتْ بعضُ كتبهِ على هذا المنوال والشاكلة ؛ مُشَدّداً على النيلِ منهُ بطريقةٍ فيها الكيدُ بالإساءةِ والتّشويهِ عنواناً لتجريدِهِ من كُلّ فضيلةٍ ؛ مادّيةٍ كانَتْ أمْ معنويّةٍ , وَبِما أنّنَا عرَضنا لمجملِ مضمونِ كُتُبِهِ الجوابيةِ أو التي كتبَهَا مُباشرةً ، فنَكتَفِي بِما أوردناهُ؛ لِنَعرِضَ بعضَ الصياغاتِ الفنّيةِ التي توقّفنا على طريقةِ أداءِ الكاتبِ وتراكيبِهِ التعبيريةِ الفنّيةِ عن معانيهِ بشكلٍ مبدعٍ لافتٍ بتنويعهِ للفنونِ المختلفةِ التي وظَّفَهَا في مكاتباتهِ ، وتجريدِ صديقهِ من كلّ خِلَّةٍ حسنةٍ بطريقةٍ غيرِ مألوفةٍ خَلَتْ من طرائقِ الهجاءِ المباشرِ والثَّلبِ بِالمعاني الفاحشةِ، ومالت إلى طريقةِ الاستهزاءِ والتحقيرِ ؛ إذْ يرفُضُ تصرفاتَه عقلاً وفعلاً، ثُمَّ يُحَاسِبُهُ عليها عاجِلاً أمْ آجِلاً .

المطلب الثاني: الفنون البديعية في كُتُب مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف:-

أولاً : الطباق:-

تنوعت الفنون البديعية في نثرِهِ ، وَعَرَفَ الكُتّابُ قيمتَها في التشكيلِ الكتابيّ ؛ إذْ تَعزَّزَ الوُصولُ إلى المعنى بشكلٍ مُناسبٍ للسياقِ الكتابيّ ، وفي مكاتباتِ مُطَرِّف، نُوْرِدُ بعضاً منها ؛ وأهمُّها المطابقة والتطبيق أو التضاد ومعناها في اللغة: الموافقة , طابَقْتُ بين الشَّيئينِ ؛ إذا جمعتهما على حَدٍّ واحدٍ[٥٣]، وَعُرِفَتْ المطابقةُ في تحديداتها ؛ بِأنّها الجمعُ بين الضِّدَّيْنِ في الكلامِ , ويكون ذلك ؛ إمّا بلفظتينِ: فِعْلَينِ, أو اسمَيْنِ ، أو حَرْفَيْنِ[٥٤] والطبّاقُ يُقَسَّمُ على قسمينِ : طباقُ الإيجاب ، وهو ما لم يختلفْ فيهِ الضّدّانِ إيجاباً وَسَلَباً [٥٥] ، وطِباقُ السَّلْبِ , وَيُرادُ بِهِ ((الجَمعُ بين معاني مصدرٍ واحدٍ مُثبَتٍ أو مَنْفِيٍّ أو أمْرٍ أو نَهْيٍ)) [٥٦] .

وبما أنّ الطِّباق من فنون تحسينِ المعنى ؛ فهو أحد أسباب قوّة الكلام وإيضاحِ معانيهِ ، ولا سيّما عندما يأتي عفوَ الخاطرِ ؛ بعيداً عن التكلّفِ الذي يُفْقِدُهُ الحُسْنَ والبَهَاءَ, وقد اعتمد مُطَرِّف عليهِ في أغلبِ نصوصهِ النثرية ؛ لِغَرَضِ تعميقِ المعنى ، والإشارةِ إلى المعاني الخَفِيّةِ ، التي يُشَمُّ مِنهَا سُخريّةً انتقاديّةً لاذِعَةً ؛ مُعتمِداً على عَرْضٍ يَكفِيْكَ إقناعاً بِاليأسِ من صَلاح الزّبيريّ , فَفِي رسالةٍ ذَمَّ يقولُ الكاتبُ في أَحَدِ أسْطُرُها: ((وَإنَّ الرَّجَاءَ في يَدِهِ لا ينبغي إلاّ بعد اليأس من رَوْحِ اللهِ))[٥٧]، فَأَعْمَلَ المطابقةَ بينَ(الرَّجاء – اليأس)، وهاتانِ اللفظتانِ مختلفتانِ بالمعنى تماماً ، وفي سياقِ إيرادِهَا تَمّ قطعُ الأمل والمطمع فيه، وهذا نهاية الغاية من الشيء ؛ مِمّا يُرَسّخُ في النفسِ قَطْعَ المُرْتَجَى مِنهُ .

ويقولُ أيضاً :((الاقتصاد الذي أمَرَ بهِ هو الإسرافُ الّذي يُعَذِّب اللهُ عليهِ))[٥٨] ؛ إذْ طابقَ بين لفظتَيَ: (الاقتصاد – الإسراف) (فالاقتصاد) يعني: التقتير، فطابق معناه:(الإسراف) ، الذي ، يعني: بَذلَ المالِ من غيرِ تدبرٍ وإتلافِهِ، ومعنى اللفظتين المضادتين : حَمَلَتاَ الذَّمّ ؛ لارتباطهما بالهِجاءِ والبُخْلِ والإتلافِ للمالِ من دونِ مُسَوّغ ، وكذلك في قولهِ: ((كانَ واللهِ قوّياً على أهل الضَّعفِ والمَسْكَنَةِ , ذَليلاً على أهل الجَلَدِ والقُوّةِ)) [٥٩].

طابَقَ الكاتبُ بينَ (قويّاً – ذليلاً) فالقوّة تَعنِي: الشجاعة , والذِّلّة تعني: الضّعف وقِلّة الحِيْلَة ؛ فَضلاً عن جمعهِ بين (أهل الضّعف – أهل الجَلَد) ؛ إذْ قابَلَ في محمولهما أكثر من معنى ؛ دلالةً على ما جاء بهِ ، مُعَضِّداً للعلاقةِ الحاملة لهذا الأسلوب في قولهِ: ((لمْ يفهمْ أُولاها ، ولم يعرفْ أُخراها))[٦٠] ، فلفظة: (أُولاها – أُخراها) متطابقتان ؛ لأنّ الأول: هو الابتداء بهِ , والآخر: الانتهاءُ بالشيء ، وهذا ما تَحَلّى بهِ من مَعانٍ تُخالفُ الواقعَ ؛ عاملاً بعكسهِ ، مُتمسّكاً بغيرِ المُفيدِ , وكذلك طابَقَ في تركيبِ قولهِ: ((ومنهم من حَمْلُ عداوتهِ أَخَفُّ مِن ثُقلِ صداقتهِ)) [٦١] ، فالمقابلةُ أحدثَتْ إيقَاعاً مُهمّاً ؛ فضلاً عن المعنى المُتَضَاد الّذي حَمَلَهُ تركيبُ اسم التفضيل ؛ لبيانِ عمق المعنى الشائن ، الذي ألصَقَهُ بالزّبيريّ في لفظة (أَخَفّ) ، فالحَمْلُ يَرتبطُ بعلاقةِ الثِّقَلِ أو الخِفّة التي استعارها (للحَمْل) ، وهو جانبٌ مادّي رَبَطَهُ بجانبٍ معنويٍّ في تقدير (العداوة بالعداءِ والصداقة) (حمل عداوته أخف من ثقل صداقته) وهذا دالٌ على سوءِ فعلِهِ مع الأصدقاء الذين لا يَرجون منه خيراً ، فمعاداته أفضل من صداقتهِ .

فَكَشَفَ أُسلوبَ المطابقةِ صورةً تقتربُ مِمّا أرادَهُ الكاتب في تأكيد حقائق المهجوّ ؛ من خلالِ المعنى الذي أبانَهُ ؛ مجرداً من الصفات الخلقية التي تربط أبناء المجتمع وتَشُدَّ عُرَاهُ , وَوَرَدَ في موطنٍ آخرَ من مكاتباتهِ ، قوله: ((متعة عاجلة، ومواعيد آجلة))[٦٢] ، وجاءت المطابقة في باب التحذير والتوبيخ لصديقه ؛ في جمعه بين (عاجله – آجله) ، فالعاجلة ؛ تعني: الاستعجال بالشيء ، والآجلة ، تعني: التأخير فيه ؛ مؤكداً من هذا سعيه إلى اللذة الزائلة المرتبطة بهواه ومواعيده الآجلة .

ويَستعمِلُ المقابلة في فضحهِ بمزاولة الحرام ومنع الحلال ، في قولهِ: ((منعِك الصدقات بالشّيء , واستحلالك الحُرُمات بالشّيء))[٦٣]، فالصَدَقات: هي ما تتصدّقُ به على الفقراء والمحتاجين من المالِ الحلالِ , والحُرُمات : كلُّ شيءٍ نهى الله عنه , فصاحبهُ يعملُ الحرامَ ، ويُنْكِرُ الحلالَ ، وهذه خِلالٌ شائِنَةٌ يُحاسب الله عليها ، فَجاءَ بالتّقابُلِ بين عملينِ متضادينِ ؛ عاكساً التعامل معهما ، دالاً على منع الحلال واستحلال الحرام ، وفي كليهما أمرٌ مُنكَرٌ ، وحَشَدَ الكاتبُ الطبّاقَ في جميع مفاصل مكاتباتهِ[٦٤] ؛ معتمداً في عرضها على ربطها بسلوكٍ مستهجنٍ عند الزّبيريّ؛ إذْ نَزَعَ منه المعروف ، فَأَوغَلَ في ذمّهِ عند الإخوان، ولا فائدة تُرجى لهم عنده ؛ فَنَفَذَ بذلك إلى إيلامه ؛ بتجريدهِ من كلّ قيمةٍ معنويّةٍ وشرعيّةٍ تَصُبُّ في حُسْنِ العِشْرَة ، وتمنحُها سِمَة الصّداقة في جوهرِها الحقيقيّ ؛ معتمداً على تهديم الفضائل ، بوساطة زيغهِ وهواهُ وتمسّكه بالباطل ؛ كاشفاً فعل صاحبه لأصدقائه ؛ ليجتنبوه ، وكأنه يُقدّم فكراً إصلاحياً ؛ لغرض الإعراض عن الأوصاف الشائنة ، والتمسك بحبل الله .

ثانياً : الجناس :

يُعَدُّ الجناس لوناً من ألوان الزّخرفة اللفظية ، ويعني في اللغة: الضَّربُ من كلّ شيءٍ[٦٥]، وَحَدُّهُ تَشابهُ الكلمتين في اللفظ ؛ واختلافهما في المعنى [٦٦] ، ويُقسَمُ الجِناس على قسمين : الجناس التام : ((هو أنْ يَجيءَ المتكلم بكلمتين متّفقتين لفظاً ؛ مختلفتين معنىً في تركيبهما ، والاختلاف في حركتهما)) [٦٧].

والجناس الناقص (غير التام) : ((هو اختلاف اللفظتين في عدد الحروف))[٦٨]، وَذُكِرَ في واحدٍ من أربعٍ: الحركات، أو حرفٍ ، أو تقديم حرفٍ ، أو نقصِهِ , ويستعمل الكُتَّابُ الجناسَ في الألفاظ ؛ لتعيين المعاني في الصياغات ، وَوَرَدَ في مكاتبات مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف طبيعياً من غيرِ تكلُّفٍ أو تصنُّعٍ ؛ فجاءَ عَوناً للمعنى ، لا وَبالاً عليهِ ، واستَعمَلَ غيرَ التّامّ ؛ وَلا سِيّما المختلفُ في نوع الحروف ، أو ترتيبها ؛ إذْ جاءَ في رسالةٍ لهُ: ((فإنّكَ كتبتَ إلَيّ تسألُني عن عبدالله بن مصعب , كان والله غَثّاً في دينهِ , قِذراً في دنياه , رَثّاً في مروءته , سَمَجاً في هيئته , مسكيناً في علمه, منقطعاً إلى نفسه, راضياً عن عقله, بخيلاً بما وسّع الله من رزقه....))[٦٩]، وَقَعَ الجناس النّاقص في كلمتين، هما: (دينه) و(دنياه) ؛ في عدد الحروف ؛ إذْ زادت الثانية حرفاً على الأولى، وهنا تكرّرَتْ مجموع حروفها في الثانية ، فضلاً عن تغيير طبيعة ترتيب الحروف ، وكذلك وَرَدَ بين لفظتين، هما: (غثّاً) و(رثّاً) ؛ باختلاف حرفٍ بينهما ، وهُنا تَحْدُثُ ملائماتُ صوتيةٌ تُوَلِّدُ تنغيماً مُرَدَّداً ، لهُ وَقْعٌ في أُذُنِ المَتَلَقّي , وله أيضاً في موطنٍ آخر: ((فالرّاسخون في العِلْمِ مِمَّن قد عَرَفَ سِيرتَكَ , وما أبدى لهم الله من سريرتِكَ , فقد اقتصروا على بُغْضَكَ, ثقة ، والله بعد وانك ...))[٧٠]، فالجِناس حصل بين (سيرتك – سريرتك) باختلاف زيادة حرفٍ ؛ فَمَنَحَتِ الصياغةُ النّصَّ إيقاعاً يَدُلُّ على قدرة الكاتب على توشية نثرهِ بأنغامٍ جميلةٍ مُرَدَّدَةً ؛ فضلاً عن تعميق المعنى عبر مولّداتٍ تعبيريةٍ إيقاعيةٍ ؛ غذّى بها العاطفة بالطاقة الصوتية التأثيرية التي أحدَثَها خبر كان (غثّاً , قذراً , رَثّاً , سَمِجاً , مِسْكِيْناً, مُنقطِعاً , راضِيَاً , بَخيلاً) ، وقد فَعَلَتِ الألفاظُ الحاملةُ لتنوين الفتح تقطيعاً صوتياً ، يَسنِدُ قوّة التجريدِ العقليّ للمعنوياتِ ولهُ أيضاً ، في قولِهِ: ((ولا تَصَلْ بشيءٍ من جَمعِكَ احداً من ذوي قرابتك ... ولا تُنْفِقْ صغيرةً ولا كبيرةً ؛ إلاّ وَقَعَتْ لَكَ في سِجّيْن , وَلا تَرْفَعْ منزلةَ إلاّ هبطت بك أسفل سافلين)) [٧١] ، حَدَثَ الجِناسُ الاشتقاقيّ في لفظتي:(أسفل – سافلين) ، وَهُما من جذرٍ واحدٍ (سَفَلَ) ، وتعني: نهاية الهبوط والانحطاط في المهاوي السحيقة ؛ فَأدّى ذلك الجناس إيقاعاً جميلاً في نغمتهِ ؛ فأصبَحَ في مكاتباتهِ حِليةً وَزِينَةً شكليّةً ، ذاتَ مسحةٍ موسيقيةٍ دَلّتْ على الاهتمام بالتراكيب وانسجامها في تأدية المراد ؛ مع تآزرها مع الألوان الفنية الأخرى ، وإيلائها أهميّةً في تجريدهِ من فضيلة صِلَةِ الرَّحِمِ (ولا تَصِلَ بِشَيءٍ ... مِن ذوي قرابتك) ، فأعمالُهُ الصغيرة والكبيرة في نار جهنم (سِجّين) ؛ هابِطَاً في دَرَكِها الأسفَل .

ثالثاً : الاقتباس :

الاقتباسُ: فنٌّ بلاغيٌّ بديعيٌّ ؛ اشتُقّتْ من لفظة:(قَبَسَ) ، ويُقالُ: اقتبست منهُ ناراً ؛ أيْ: اقتَبَسَ قبساً فأقبسَني ، أي: أعطاني منه قبَسَاً , وكذلك: اقتَبَسْتُ منهُ عِلْمَاً ؛ أي: اسْتَفَدْتُهُ[٧٢]، وَحُدِّدَ مصطلحُهُ: بالأخذِ والإفادة من آيِ القرآن الكريم ، وتوظيفها في النّصِّ الأدبيّ , وقد عرفوا هذا اللّونَ من الأخذِ منذُ عهدٍ مُبكّرٍ , وكانوا يُسَمُّونَ الخطبة التي لا تَوشّحُ بالقرآن بـِ:(الشّوهاء) [٧٣]؛ فضلاً عن أنَّ الاقتباس يأتي من الحديث النّبويّ الشّريف؛ بَيْدَ أَنّنَا لم نقفْ على أيّ حديثٍ مقتبسٍ في مكاتبات مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف, أمّا الاقتباس القرآني فالغالب يكون في الخطب والمواعظ والعهود ، ومَدْحِ النّبي محمد (ﷺ) ، وفي الرسائل والقصص[٧٤]، وأفادَ كاتبنا من الاقتباس في أثناء ترسلّهِ ؛ ليزيد قوة المكاتبة ، ويُقدِّمَ الحُجّة المقنعة البليغة التي تكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامهِ والكلام الذي أُخِذَ منهُ ، ومِمّا جاءَ من ذلك قوله: ((أَنْ يُصيبكَ بعذابٍ من عندهِ أو بأيدهم , لما استحلّتْ جنودُكَ من سفكِ الدّماء , وأَبَاحَتْ رُسُلُكَ من حُرَم النّساء , وَلِظُلْمِكَ اليتامى , وافترائِكَ على ذوي القُربَى , وتَعَرُّضِكَ للعقاب والهلكة والخلاف والمعصية , فَوَيلٌ لَكَ ولكتّابِكَ ممّا كتبتْ أيديهُم , وَوَيْلٌ لكُم مِمّا تَكسِبُون)) [٧٥] ، جَدَّدَ الكاتبُ دُعاءَهُ على الزّبيريّ بالويل والثّبور بالهلاك والعذاب ؛ مُبيناً بأن الرّاسخين في العِلم والرّعيّة جميعاً ، يَسألون الله بنعمِهِ مخلصينَ ، وبأسمائهِ الحسنى مُلِحّينَ ، من أنْ يُصيبُهُ بعذابٍ من عندهِ . وبأيديهم مقتبساً من قوله تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا** ﴾[٧٦]، وأردفها بالآية الأخرى ، قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[٧٧]، وَقَصَدَ مِن وَراء ذلكَ : أنّ حالَ مَنْ تنطبقُ عليهِ الآيات قريبٌ من حالِ الزّبيريّ ومُشابِهٌ لهُ ؛ فيَضَعَهُ في دائرةِ الذي غَضَبَ اللهُ عليهم ؛ بسبب ما كسبتْهُ أيديهم ظلماً ، وما فَعَلَهُ من فعلٍ منافياً لشرع الله ، فالعقوبة بالعذاب على قدر الفعل .وكذلك في قولهِ: ((وقد زعَمَ أهلُ المعرفةِ بِكَ ؛ أنّهُ لمْ يَقَعْ في يَدِكَ من زينة الله التي أخرَجَ لعبادِهِ , وأرزاقِهِ الطيبة التي بسطها على خلقِهِ , ومَا تَرُدُّ بهِ جَوْعةً ، ولا تُوَارِيْ بهِ عَوْرَةً , وأَنَّ ذلكَ لمْ يَصِلْ إليك ؛ إلاّ بِبَغْي المسلمين, وبطانة المستهزئين, وَإِفْكِ المُفْتَرِيْنَ..))[٧٨]، اقتَبَسَ الكاتبُ في نَصِّهِ المعنى مِن قَولِهِ تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾[٧٩]، وَهُنَا يَعرِضُ تَصرُّف الزّبيريّ ، المُنافي لأوامر الله في كتابهِ الكريم ، وبَغيهِ المسلمين وظُلمِهِم ومنعِهِم مِمَّا أَحَلَّ الله من زينةٍ لا يَسِدُّ بِها خلّةً من جُوعٍ أو مواراةٍ لجسد

مسلمٍ ، وَأمْعَنَ الكاتبُ في كشفِ استهانةِ الزّبيريّ بالشرعِ ، والعملَ بالنقيضِ مِنْهُ ؛ عاملاً برأي المستهزئين والمفترين ، وهذا كافٍ لتشويه صورتهِ ومكانتهِ بين المسلمين ، وإظهارِ تصرُّفِهِ بازدراءِ فعلِهِ من أهلِ المعرفةِ بهِ .

ومِن اقتباساتهِ التي تشيرُ إلى معنى الآية القرآنية حُجّةً على الزّبيريّ وانقاصاً لمكانته ؛ قولُهُ: ((فَأَقِمْ – يَرحمُك الله – على مكانتِكَ واصطبرْ على عثرتِكَ , وتَربَّصْ به الدوائر ؛ عسى الله أنْ يُبَدِّلَنا خيراً منه زكاةً وأقرَبُ رُحماً ...))[٨٠] ، خَاطَبَ الكاتبُ صديقَهُ ، وَطَلَبَ منهُ الصّبرَ والثّباتَ على موقفهِ من تجاوزات الزّبيريّ وسوء طويته ، وَأنْ يَتَرقّبَ بهَ الشّرّ والهلاكَ ؛ داعياً الله أنْ يُبْدِلَهُمْ بهِ صاحِباً آخرَ خيراً منهُ ؛ مستعملاً مِن استدعاءِ الآيةِ القرآنيةِ واستحضارها وسيلةَ مساعدةٍ وحُجّةً ظاهرةً يتعزى بها من فِعْلِ الزّبيريّ قولُهُ تعالى: ﴿ **فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾[٨١]، وفي الخطابِ دَعَا لِصديقهِ السّائلِ بالرحمةِ وأنْ يُبْعِدَهُ الله عنهُ ؛ لِأنّ القُدومَ عليه لا طائلَ منهُ .

وَوَرَد الاقتباس في موطنٍ آخرَ يُؤكّدُ على فُقدانِهِ كُلّ حكمةٍ نافذةٍ وبصيرةٍ صادقةٍ، في قولِهِ:((وفي المعرفةِ بِها طِفلاً, وَلَو لَبِثْتَ أربعينَ سَنةً؛ لَمْ يُفْهَمْ أُوْلاهَا، وَلَمْ يُعْرَفْ أُخْرَاهَا, إلاّ نَظَرَ المَغْشِيّ عليهِ مِنَ الموتِ...))[٨٢]، اقتبَسَ الكاتبُ قَولَهُ تعالى: ﴿ **يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ** ﴾[٨٣] ، وَأفاد من الآيةِ في تَعَرُّضِ ذِمَّةِ عبدالله بن مصعب ومجانبتهِ الحكمة وَغُفْلِهِ عنها , وَجَهْلِهِ بها ؛ كارِهَاً كلّ قيمةٍ معنويةٍ ، وكأنّما أُغْشِيَ عليهِ , وهذه الحقيقة التي تَمنّاها الكاتب تَقترِنُ بالاحتجاجِ على عمل الزّبيريّ ؛ داعِماً وِجهةِ نَظَرِهِ ؛ بِأَنّهُ لا يَسْتَقِيمُ إلاّ على ضلالٍ ، وَلا يَعملُ إلاّ بإساءةٍ ، وَلا يُرْتَجَى مِنْهُ خيرٌ ؛ مُخَالِفاً أوامر الله في عبادِهِ ؛ عامِلاً بِعملِ الجَاحِدِين .

رابعاً : التوازن والازدواج :

يَقتَرِبُ مفهومُ التوازنِ اللُّغوِيّ والاصطلاحيّ في المقصودِ منهما ؛ فَكِلاهُما يَتَّجِهُ إلى الموازنة ؛ والإتيان بشيءٍ ؛ تعادلاً وتوافقاً داخل الفقرات والفواصل[٨٤].

أمّا الازدواجُ ، فَعُرِفَ على إنَّهُ : كُلَّ جُملةٍ تُعادلُ أُختَها في موازينٍ ؛ تُحَقِّقُ جمالاً موسيقياً ، أُطْلِقَ عليهِ: الازدواج , وَيُرادُ بهِ: الإيقاعُ الصَّوتيّ المُتَلَوِّن[٨٥]، والرّاجحُ عندنا ؛ هو التَّعادلُ بالصِّيَغِ الصَّرفيةِ المُولّدةِ لِصيغةِ المزاوجةِ ضمن التراكيب .

إنّ أُسلوبَ التّوازنِ والازدواجِ يُعْنَى بِالتّوافقِ بين الصيغِ الأسلوبيةِ والصَّرفيةِ والتّوَسُّعِ بِالمعنى؛ تِبَعَاً لِتَوَسُّعِ العبارةِ عن طريقِ تكرارِ الصِّيَغِ وتَعادُلِها ؛ إذْ تُؤدّي بِالضرورةِ إلى تعميقِ المعنى وترسيخهِ في ذِهن المتلقي , فضلاً عن أنّ التّكرارَ يَزِيدُ الإيقاعَ الدّاخليّ ، وَيَمنَحُ هذا الأُسلوبَ حِلْيَةً مُوسيقيّةً وتنغِيماً داخليّاً ؛ تِلِذُّ بِهِ الأُذُنُ عند السَّماعِ بتعادل الفِقْرَاتِ ، وَحُسْنِ تقطيعِها ، وكأنّما تَتَحَوَّلُ إلى هندسةٍ لفظيةٍ تعضدُ ملاءمةِ اللَّفظِ لِجمالِ المعنى , ويرتبطُ أداؤها بقدرةِ الأديبِ على التعبير عَمّا يتطلبهُ كتابُهُ من تشكيلِ صياغاتٍ وتراكيب مُونَقَةٍ رصينة، وهذه الطريقة شاعت عند كُتّاب العصر العباسيّ ، وَأشهرُ من عُرِفَ بها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) .

استعملَ مُطَرِّف هذا الأسلوب في مكاتباتهِ ؛ وهو يُعرّضُ بالزّبيريّ ويهجوهُ ويَذِمُّهُ ، مَثلاً قولهُ: ((فهو يخشى العقابَ على الإنفاقِ , ويرجُوْ الثَّوابَ على الإقتارِ , ويَعِدُ نفسَهُ الفَقْرَ , ويأمرُها بالبُخلِ ؛ خِيْفَةَ أنْ تَنزِلَ بهِ قَوارِعُ الظالمينَ ، أو أنْ يُصِيبُهُ ما أَصَابَ القُرونَ الأوّلينَ ...))[٨٦].

يَقَعُ التّوازنُ والازدواجُ في التركيبين الآتيين :

لا يخشى العقاب على الإنفاق نفي+ فعل مضارع فاعله ضمير مستتر + مفعول به + جار ومجرور .

يرجو الثواب على الإقتار نفي ضمني + فعل مضارع فاعله ضمير مستتر + مفعول به + جار ومجرور

فضلاً عن التعادل ؛ فالصيغ الصّرفية تكادُ تكرَّرتْ بعينها .

شَغَلَ التركيبان المتضادان بينهما تقابلاً جميلاً متعادلاً دَلّ على تَمسُّكِ الزّبيريّ بالعمل عكس الطبيعة والفطرة البشرية فهو :

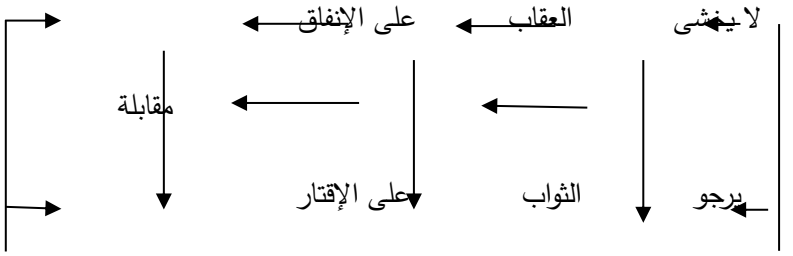

وبهذا الأُسلوبُ صَوّرَ الكاتبُ الزّبيريّ بوسيلةٍ تَخِزُّ بِالعَيبِ والتَّصَرُّفِ المُشِيْنِ بِخُلِقِ الإنسانِ اللّئيمِ ؛ عاملاً على قلبِها بطريقةٍ معكوسةٍ ؛ وهذه مَهَمّة الكاتب في تجريدِهِ من القِيَمِ الإنسانيةِ :

لا يخشى العقاب يرجو الثواب

وَأضافَ التّعادُل والتّوازي بينَ الفِعلَينِ وَمفعوليهما ؛ معَ ازدواج الصّيَغ الصَّرفيّة والسَّجعَة الواقِعة بين (العِقاب – الثّواب) ، تَنغيماً وأداءً تعبيرياً مُوَفَّقاً ، ولاسِيَّمَا ما أحدثَتْهُ المطابقة بينَ (إنفاق – إقتار) ؛ إذْ شَكَّلَ (حرفُ الباء– والقاف – والرّاء) أصواتاً مجهورةً عاليةً ، فيها اضطرابٌ وحركةٌ ؛ ارتبطتْ بِفِعل الزّبيريّ غير المستقرّ على حالةٍ اعتياديةٍ ؛ لأنّها لا تعمل ؛ إلاّ على الزيف والمخادعة , وكذلك وَرَدَ الأُسلوب في موطنٍ آخرَ ، في قول: ((لقد أَعْلَمَكَ القومُ جميعاً ؛ أَنّهم وَجَدُوا مِثقال الذَّرّة مكتوباً , وَوَزْن الحَبَّة مَحسوباً , وَأنّهم قد أُخِذُوا بأيْسَر من ذنبِكَ ، وَعَذَّبُوا بأصغرِ مِن جُرْمِكَ , وَأَنَّ الأَيّام ليست كَمَا عَدَدْتَ, وَأنَ المُدَّة على غير ما كُنتَ حَسَبْتَ ...)) [٨٧] .

فالتّراكيبُ حَمَلَتْ توازناً وازدواجاً وسجعاً وتقابلاً وتعارضاً ؛ إذْ حَشَدَ في هذا الأُسلوب كثيراً من الفنون ؛ فَخَرَجَ من تآزرِها ما رامَهُ من وُصولٍ إلى المعنى ؛ كاشِفاً عن سوءِ طَوْيَةِ الزّبيريّ ، وَتَجَاهُلُهُ لِمَا سَيَقَعَ بِهِ غَيْرَ مُتَّعِظٍ أو مُعْتَبِرٍ :

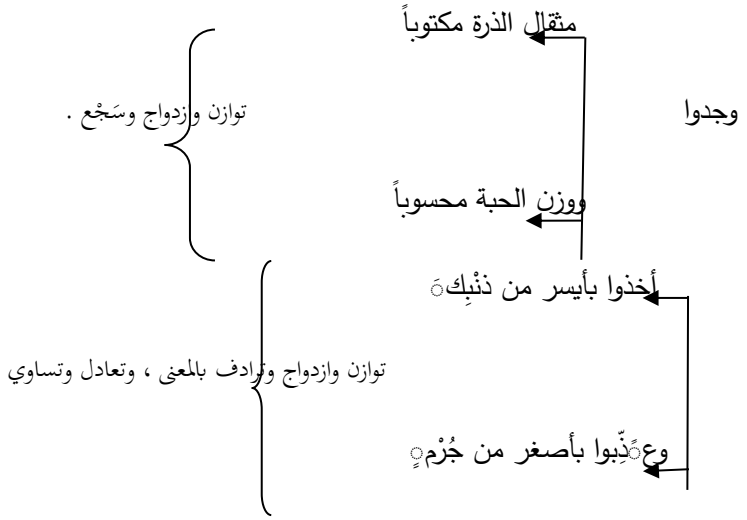

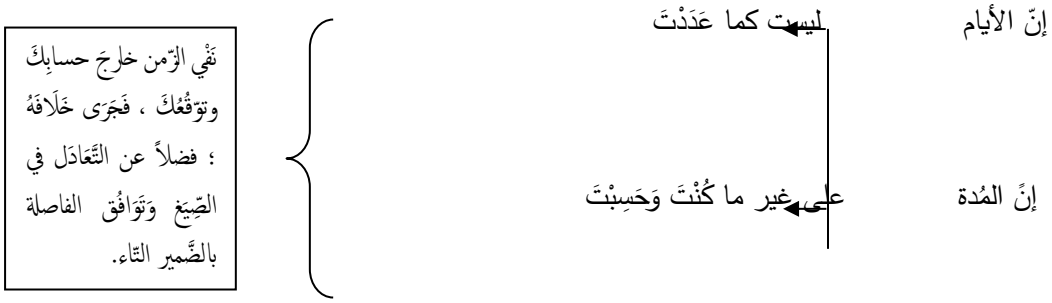

هذه التراكيبُ المحسوبةُ دَلَّتْ علَى فِكْرٍ مُنَظَّمٍ وَذِهْنٍ مُرَتَّبٍ يُحْسَبُ لِلجُملةِ حِسابُها الإيقاعيّ والنَّغَمِيّ ؛ فضلاً عن جودة أدائِها المَعنَوِيّ ، الذي لا ينقطِعُ عن حُسْنِ تنويعِ عباراتِهِ عندَ عرْضِ فِكرتِهِ ، التّي يُرِيدُ إبلاغها المتلقّينَ ، والعَمَلَ بخلافِ ما وَجَدَ هؤلاء من عقوبةٍ رَبّانيةٍ ؛ ارتَبطَتْ

بإحصاءِ مثقالِ الذّرّة والحسابِ عليها ، فَعُذِّبُوا بِأَقَلّ مِن جُرْمِ الزّبيريّ، الّذي نَهَجَ طَرِيقَ الهَوَى والغِوايَة ، وَعَدَّهُ طريقَ النَّجاةِ والفَلاحِ ؛ وَبهذا التّجريدُ يُجْرِي التّجريحَ ؛ مُهِيْناً الزّبيريّ ، مُنْتَقِصاً من أَفعَالِهِ وَسُوءِ تقديرِ أحوالِهِ ؛ بِخُروجِهِ عنِ المعروفِ ، وَوُلُوْجِهِ المُحَرَّماتِ ، فَلَا يَرْعَوِ عَن سُلُوكِ الطّرائِقِ الضَّالّة ، ونَرَى الكاتِبَ نَجَحَ في الزّرايَةِ مِنْ صاحبِهِ وتَحْقِيرِهِ وَذَمِّهِ ، وَلَهُ فِي مَوْطِنٍ آخر ، قَوْلُهُ: ((فَكَانَ واللهِ غَثّاً فِي دِينِهِ ؛ قَذِرَاً فِي دُنْيَاهُ , رَثّاً فِي مُرُوءَتِهِ , سَمِجَاً فِيْ هَيْئَتِهِ, مِسْكِيناً في عِلمِهِ ؛ مُنْقَطِعاً إلى نَفسِهِ , راضِيَاً عقلَهُ , بخيلاً بما وَسّعَ اللهُ عليهِ من رزقه ...))[٨٨] .

حَدَثَ التَّوازنُ والازدواجُ بينَ كُلِّ جُمَلِهِ القصيرةِ ، وعلى وِفْقِ الآتي :

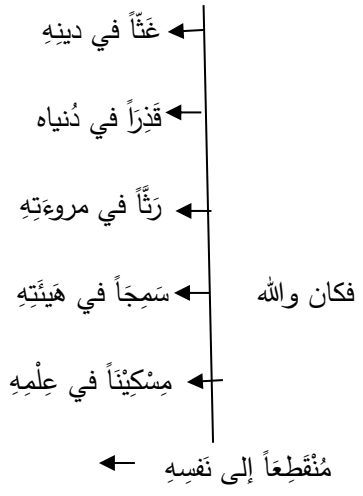

التركيب: جملةٌ فِعليةٌ ناقصَةٌ مُؤَكّدَةٌ بِقَسَمٍ صَرِيحٍ .

اسمُها: ضميرُ شأنٍ ، وَخَبَرُها: (غَثّاً – قَذَرَاً) ، والمتعلِّقُ ؛ الجَارُّ والمجرورُ ، المُضَافُ إلى الضَّمِيرِ (الهاء) ، (الدَّال على الزّبيريّ) .

حَشَدَ هذا الكَمُّ مِنَ الأوصافِ المُخْبَرِ بها عنِ الزّبيريّ ؛ مُلصِقَاً لها بشخصهِ وتصرُّفِهِ في الدّنيا والأخرة (دينه – دنياه) أوّلاً , طاعِناً في (مروءته) ومُقَبّحَاً (هيئته) ثانياً، لا يُحْسِنُ التّصرُّفَ ، فقيراً في (عملِهِ) ، ليسَ لهُ أهميّةٌ فيمن حوله ؛ (منقطعاً) متوكلاً على نفسهِ أخيراً , ويكفي به ذلك ؛ هجاءً وذمّاً ؛ مجرّداً له من الفضائل في دينهِ وآخرتهِ ونفسهِ وتصرُّفِهِ.وَشَغَلَتْ هذه المقاطعُ التركيبيةُ التي نَلْمَحُ فيها أَثَرَ السَّجْعِ والجِنَاسِ والتَّوازنِ والازدواجِ ؛ ما أَجْرَاهُ قَلَمُ الكاتبِ ، وهو يَصِفُ لنا الزّبيريّ ، الذي خَلاَ من كُلِّ شيءٍ حَسَنٍ، ومعنىً يليقُ بمكانةِ رجلٍ يحملُ شِيَمَاً ومروءةً محمودةً ؛ فضلاً عَمَّا أحدَثَتْهُ تَراكيبُهُ القصيرة من إيقاعٍ موقع غذّاهُ تنوين الفتح ، في خَبَرِ كانَ في الجُمَلِ السِّتِّ المتماسكةِ المؤدّيةِ لمعنى الزراية، المؤكَّدِ بالقَسَمِ والمتعلّقِ الجار والمجرور فيها ، والمضاف إلى الضمير الغائب (الهاء)، الدَّالّ على المَهْجُوِّ ، وهُنَا كَشَفَ لنا الكاتبُ عن دِقَّتِهِ التعبيرية ، وآلياته الفنية ، في الغوص وراء المعاني التي كَشَفَتْ عن معايبِ الزّبيريّ ونقدِهِ بطريقةٍ ساخرةٍ؛ فيها التنقيص من كُلِّ تصرّفاتِهِ وَبِشكلٍ مؤذٍ فيه وخزٌ مؤلمٌ ، ولا سيّما عندما يعملُ على تجريدِهِ بأُسلوبِ المتحضّرِ المثقّفِ من القيم الدينية والأخلاقية؛ إذ انعكست من خلال التعامل معهُ على جميع تصرفاتِهِ المشينةِ ، وقد عَمَدَ الكاتبُ إلى إظهارِ خُبْثِ الطَّوِيَّةِ عندهُ ضِدَّ أصدقائِهِ ؛ فَقَطَعَهُم , فَلَا يُرْفَعُ لهُ شَأْنٌ ، ولاَ تَقُوْمُ لهُ قائمةٌ بعدَ هذهِ المكاتبات .

الخاتمة:

وأخيراً ؛ فَإنّ مُطَرِّف بن أبي مُطَرِّف جَعَلَ من غرضِ الهِجاءِ والذَّمِّ في الشعرِ موضوعاً كتابياً ، وذلك ، لِمَا أَصَابَ النَّثْرَ من تطوّرٍ واكَبَ الحضارة، وافْتَنَّ الكُتَّابُ في إجَادَةِ فنونهِ، وبراعتِهِمْ في حُسْنِ أدَاءِ المَعَانِي, وقد:

– اقْتَصَرَ الكاتبُ على الهِجاءِ في جميعِ ما وَصَلَ إِلَيْنَا مِن مكاتباتهِ ؛ على الرَّغم من عملهِ في ديوانِ الرّسائل ؛ إذْ عُدَّتْ مكاتباتُهُ شاهداً واضحاً على قدرةٍ تعبيريةٍ , دَلَّتْ على تفوّقٍ في إجادةِ هذا النَّوع من المكاتبات ؛ سواءً أَكان ذلك في رسائلهِ القصيرةِ أَمِ الطويلةِ التي بَلَغَتْ إحداها عِدَّة صفحاتٍ ؛ وهذا ما يُظهِرُ رسوخَ قَدَمِهِ في الكتابة ، واتّباعِهِ أُسلوباً مُغايِراً في الهِجاء والذَّمّ عَمّا كانَ مَعهودَاً عند سابِقِيْهِ .

– تَعَامَلَ الكاتبُ مع فنون البديع بِشَكْلٍ لافِتٍ ، ولا سِيّما مع التّضَادِّ والتقابلِ والطِّباقِ ؛ مُعَمِّقَاً المعنى، وكاشفاً للمتلقّي – من خلال الثنائيات– صورةَ قَلْبِ الموازينِ ، بما يَخدِمُ المعاني في تشويهِ الإيجابياتِ ، وإبراز السلبيّاتِ ، وإلصاقِها بصاحبِهِ الزّبيريّ ؛ بإعراضِهِ عنِ الحقّ والواجبِ ومتابعةِ الهَوَى .

- كانَ للجناسِ حضورٌ في المكاتبات ؛ إذْ يَعتَمِدُ التَّجنيسَ على المواءماتِ الصّوتيّة والملائماتِ التركيبيّةِ بين الألفاظِ , والكاتبُ لهُ عِنايةٌ بجمال التراكيب وإحداثِ أصواتٍ متجانسةٍ مردَّدةٍ بعينِها بين الحروف والمقاطع ؛ مِمَّا مَنَحَتْهَا صبغةً موسيقيةً جميلةً ؛ فضلاً عن العملِ على دِقّةِ المعنى المرتبطِ بجمالِ الأداء ، وكذلك أَفَادَ الكاتبُ من الإقتباس القرآني في نصوصِ مكاتباتهِ ؛ عامداً إلى ، إحداثِ فجوةٍ بين المعنى الذي تَحْمِلُهُ الآيةُ ، والتّصرُّفِ الفِطْرِيِّ والطبيعيّ للمسلمين ، ومِمَّن يعملُ بِضِدِّها ؛ متابعاً البغيَ والضلالَ ، عاكساً كلَّ تَصَرُّفٍ

لهُ بمخالفتهِ للشَّرعِ في الدُّنيا والأخرة ، عامِداً إلى الحرام ، مُتَمسِّكاً بالمنكرِ ، مُعرِضَاً عن المعروفِ ، وَهُنَا يُجَرِّدُهُ مِن كُلِّ فضيلةٍ دينيةٍ ودنيويةٍ .

- أَمّا التوازنُ والازدواجُ ، فكانَ أُسلوباً أَدائيّاً لهُ حضورُهُ في جميعِ رسائلهِ ؛ يَعتَمِدُ على التّعادُلِ بين التّراكيبِ والتّوازي والمساواة، التي تُظْهِرُ إيقاعَاً مُرَتَّباً يَجذِبُ النّفسَ ويُرِيْحُ الأُذُنَ ؛ فَيَلِذُّ في النُّطْقِ والسَّمْعِ بصورةٍ مؤنِسَةٍ وجميلةٍ، فيها بَرَاعَةُ التنظيمِ وَدِقَّةِ المعنى ؛ حامِلةً مقصدَ الكاتبِ في طريقةِ إيذاءٍ مؤثِّرةٍ ، سَلَخَتْ مِنْهُ الفضائلَ الإنسانية والاجتماعية والدينية والنفسية .

المصادر والمراجع :

١- الأدب العربي في العصر العباسي , د. ناظم رشيد , مطبعة التعليم العالي , الموصل ، ١٩٨٩م .

٢- الإيضاح في علوم البلاغة , القزويني (ت٧٣٩هـ) ، مكتبة النهضة ، مصر , ١٩٧٦م .

٣- البرهان في وجوه البيان ، إبن وهيب الكاتب ، تحقيق: أحمد حنفي و أحمد معلون .

٤- بلاغة الكُتّاب في العصر العبّاسيّ ، د. محمّد نبيه حجاب ، مكتبة الطالب الجامعيّ ، مكّة المكرّمة ، ١٩٨٩.

٥- تاريخ الأدب العربي, العصر العباسي الأول , د. شوقي ضيف , ط٢, دار المعارف ، مصر ،١٤٧٢ هـ .

٦- حُسْنُ التَّوسُّل إلى صناعةِ التَّرَسُّل , الحَلَبِيّ(ت٧٢٥هـ) ، تحقيق: اكرم عثمان يوسف, دار الشؤون الثقافية ، بغداد .

٧- جمهرة رسائل العرب , أحمد زكي صفوت , المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

٨- الرّسائل الدّيوانيّة في العصر العباسيّ إلى نهاية القرن الثالث الهجريّ , أطروحة دكتوراه , رمضان صالح عباد , كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٧م .

٩- الرّسائل الفنّيّة في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي , غانم جواد رضا ، سَاعَدَتْ جامعة بغداد على نشره (وزارة التعليم العالي) ، ١٩٧٨م .

١٠- عِلْم البديع (دراسة تاريخيّة وفنّية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ، د. بسيوني عبد الفتّاح , ط٢, دار التعليم الثقافي , مصر ،

١١- الفهرست , إبن النديم (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق: محمد أحمد , المكتبة الوقفية ، مصر .

١٢-كتاب الصناعتين : (الكتابة والشعر), أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق: علي محمد البَجَّاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي , بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٢م .

١٣-كتاب الوزراء والكتّاب , الجهشياريّ , محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ) ، تحقيق: مصطفى السَّقّا , وإبراهيم الأبياري وعبد اللطيف شلبي , ط١ , مطبعة البابي الحلبي واولاده , مصر , ١٩٣٨م .

١٤-معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان ، ١٩٩٠م .

١٥-معجم الصحاح وتاج العربية ، الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٧م

١٦-معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوُّرها , د. أحمد مطلوب , مطبعة المَجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٢ – ١٩٨٧م .

١٧-المَعْجَم المُفَصَّل في اللّغة والأدب , د. ميشال عاصي , دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤, ١٩٧٨م .

١٨-مُعْجَم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

١٩-المَعجم الوسيط ، تخريج : إبراهيم مصطفى وآخرون , دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت .

٢٠-معجم النقد العربيّ القديم ، د. أحمد مطلوب , دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٤م .

٢١-مِن حديث الشّعر والنّثر , د. طه حسين, دار المعارف ، مصر ، ط١، ١٩٦٩م .

٢٢-النّثر الفنّي في القرن الرابع الهجريّ ، د. تركي مبروك , دار الجيل , بيروت ، ١٩٧٥م.

٢٣-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الثّعالبيّ (ت٤٢٩هـ) .

---

(١) ينظر: جمهرة رسائل العرب : ٣/٣٨-١٩٠ .

(٢) ينظر: معجم الأدباء : ١٦/٧١ .

(٣) ينظر: معجم الأدباء : ١٦/٧١ .

(٤) ينظر: الفهرست : ٧٢ .
(٥) ينظر: الوزراء والكُتّاب : ٢٦٥ .
(٦) ينظر: م . ن : ١٦٦ .
(٧) ينظر: معجم الأدباء : ٧١/١٦ .
(٨) وجاء في أوّل رسالةٍ لهُ أنّ لقبه اللّيثيّ ، ينظر: جمهرة رسائل العرب : ١٧٨/٣ .
(٩) البقرة : ٢٨٢ .
(١٠) ينظر: لسان العرب ، مادة : (كَتَبَ) .
(١١) ينظر: المعجم الوسيط ، مادة : (كَتَبَ) .
(١٢) ينظر: لسان العرب ، مادة : (كَتَبَ) .
(١٣) ينظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب : ٣٧ .
(١٤) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : ٢٣ .
(١٥) ينظر: لسان العرب ، مادّة : (رسل) .
(١٦) ينظر: معجم الصّحاح ، مادّة : (رسل) .
(١٧) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : ١٤٢ ، ومن مرادفاتها الأخرى: الصحيفة والألوكة .
(١٨) ينظر: العصر العبّاسيّ الأول: ٤٨٦ .
(١٩) ينظر: بلاغة الكُتّاب في العصر العبّاسيّ : ٩٤ .
(٢٠) ينظر: الرسائل الدّيوانيّة في العصر العبّاسيّ إلى نهاية القرن الثالث الهجريّ ، أطروحة دكتوراه : ٨٦ .
(٢١) ينظر: م . ن : ٨٧ .
(٢٢) ينظر: الرسائل الفنية في العصر العبّاسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع الهجري: ٢١ .
(٢٣) تاريخ الأدب العربي ، العصر العبّاسيّ الأول : ٤٩١ .
(٢٤) من حديث الشعر والنثر: ١١٢ .
(٢٥) ينظر: تاريخ العصر العبّاسيّ الأول : ٤٩ .
(٢٦) ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي : ١٥٣ .
(٢٧) ينظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري: ٢٠٠/١ .
(٢٨) تاريخ الأدب العربي ، العصر العبّاسيّ الأول : ٤٩١ .
(٢٩) ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي : ١٥٣ .
(٣٠) ينظر: لسان العرب ، مادّة : هجا .
(٣١) ينظر: كتاب الصّناعتين : ١٠٤ .
(٣٢) ينظر: البرهان في وجوه البيان : ١٧ .
(٣٣) ينظر: البرهان في وجوه البيان : ١٧ .
(٣٤) عبدالله بن مصعب الزّبيريّ ، أبو بكر ، القُرشيّ الأسدي ، أميرٌ من أهل العدل والوَرَع ، وُلِدَ بالمدينة ، يُنظر: الأعلام : ٣٥١/٧
(٣٥) تُراجع: جمهرة رسائل العرب : ١٧٨/٣-١٩٠ .
(٣٦) م . ن : ١٧٨/٣ .
(٣٧) تُراجع : جمهرة رسائل العرب : ١٧٨/٣-١٧٩ .
(٣٨) م . ن : ١٧٩/٣ .
(٣٩) م . ن ، والصفحة : ١٧٩/٣ .
(٤٠) م . ن : ١٨٠/٣ .

(٤١) **سورة** الكهف : ٨١ .

(٤٢) جمهرة رسائل العرب : ١٨٢/٣ .

(٤٣) قصدَ (عبدالله بن مصعب الزّبيريّ) ، الذي هجاه (مطرّف) ؛ لأنه يكنى بـ (أبي بكر) .

(٤٤) جمهرة رسائل العرب : ١٨٢/٣-١٨٣.

(٤٥) جمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٣ .

(٤٦) م . ن ، والصفحة .

(٤٧) م . ن ، والصفحة .

(٤٨) سورة الزلزلة : ٧ – ٨ .

(٤٩) سورة الأنعام :٧١ .

(٥٠) جمهرة رسائل العرب : ١٨٤/٣ .

(٥١) سورة طه : ٨٦ .

(٥٢) **سورة** الأنعام: ٧١ .

(٥٣) ينظر: لسان العرب : مادة: (طبق) .

(٥٤) ينظر: كتاب الصناعتين : ٣١٦ .

(٥٥) ينظر: علم البديع : ٦٨ .

(٥٦) الإيضاح في كلام البلاغة : ٣٥ .

(٥٧) جمهرة رسائل العرب : ١٧٨/٣ .

(٥٨) جمهرة رسائل العرب : ١٧٩/٣

(٥٩) م . ن : ١٨٢/٣ .

(٦٠) م . ن ، والصفحة .

(٦١) م . ن ، والصفحة .

(٦٢) م . ن : ١٨٣/٣ .

(٦٣) م . ن : ١٨٥/٣ .

(٦٤) ينظر: جمهرة رسائل العرب : ١٨٤/٣ – ١٨٨ .

(٦٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة : ٤٨٦ .

(٦٦) ينظر: كتاب الصناعتين : ٣٥٣

(٦٧) حسن التّوسّل في صناعة التّرسُّل : ٨٣ – ١٨٤ .

(٦٨) الإيضاح في علوم البلاغة : ٥٣٨/٢ .

(٦٩) جمهرة رسائل العرب : ١٨١/٣ .

(٧٠) م . ن ، والصفحة .

(٧١) جمهرة رسائل العرب : ١٨٨/٣ .

(٧٢) ينظر: لسان العرب : مادة :(قَبَسَ) .

(٧٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية : ٢٧ .

(٧٤) ينظر: نهاية الإيجاز : ١٢٤ .

(٧٥) جمهرة رسائل العرب : ١٨٦/٣-١٨٧.

(٧٦) سورة التوبة : ٧٩ .

(٧٧) سورة البقرة : ٧٩ .

(٧٨) جمهرة رسائل العرب : ١٨٨/٣ .

(٧٩) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٨٠) جمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٣ .

(٨١) **سورة الكهف:** ٨١ .

(٨٢) جمهرة رسائل العرب : ١٨٧/٣ .

(٨٣) سورة محمد :٢٠ .

(٨٤) ينظر: لسان العرب : مادة: (وَزَنَ) .

(٨٥) ينظر :كتاب الصناعتين : ٢٦٦.

(٨٦) جمهرة رسائل العرب : ١٨٠/٣ .

(٨٧) جمهرة رسائل العرب : ١٨٣/٣.

(٨٨) جمهرة رسائل العرب : ١٨١/٣ .

Sources and References:

-١Arabic Literature in the Abbasid Era, Dr. Nazim Rashid, Higher Education Press, Mosul, 1989.

-٢Al-Idah in the Sciences of Rhetoric, Al-Qazwini (d. 739 AH), Al-Nahda Library, Egypt, 1976.

-٣Al-Burhan in the Faces of Eloquence, Ibn Wahib Al-Katib, Investigation: Ahmed Hanafi and Ahmed

-٤The Rhetoric of Writers in the Abbasid Era, Dr. Muhammad Nabeeh Hijab, University Student Library, Mecca, 1989.

-٥History of Arabic Literature, the First Abbasid Era, Dr. Shawqi Dayf, 2nd ed., Dar Al-Maaref, Egypt, 1472

-٦The Good Approach to the Art of Correspondence, Al-Halabi (d. 725 AH), edited by: Akram Othman Yousef, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyah, Baghdad.

-٧Jamharat Rasail Al-Arab, Ahmed Zaki Safwat, Scientific Library, Beirut - Lebanon, Cairo, 1937 AD.

-٨Diwani Letters in the Abbasid Era until the End of the Third Century AH, PhD Thesis, Ramadan Saleh Abbad, College of Education - Al-Mustansiriya University, 1997 AD.

-٩Technical Letters in the Islamic Era until the End of the Umayyad Era, Ghanem Jawad Reda, University of Baghdad helped to publish it (Ministry of Higher Education), 1978 AD.

-١٠The Science of Rhetoric (A Historical and Artistic Study of the Principles of Rhetoric and Rhetoric Issues), Dr. Basyouni Abdel Fattah, 2nd ed., Dar Al-Taalim Al-Thaqafi, Egypt, 1987.

-١١Al-Fihrist, Ibn Al-Nadim (d. 385 AH), edited by: Muhammad Ahmad, Al-Waqfiya Library, Egypt.

-١٢The Book of the Two Industries: (Writing and Poetry), Abu Hilal Al-Askari (d. 395 AH), edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Beirut, 2nd ed., 1992.

-١٣The Book of Ministers and Writers, Al-Jahshiari, Muhammad bin Abdus (d. 331 AH), edited by: Mustafa Al-Saqqa, Ibrahim Al-Abyari and Abdul Latif Shalabi, 1st ed., Al-Babi Al-Halabi and Sons Press, Egypt, 1938.

-١٤Dictionary of Writers, Yaqut al-Hamawi (d. 626 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1990

-١٥Dictionary of Sahih and Taj al-Arabiyyah, al-Jawhari (d. 393 AH), edited by: Ahmed Abdul Ghafour Atta, Dar al-Ilm lil-Malayin - Beirut, 4th edition, 1987 AD.

-١٦Dictionary of Rhetorical Terms and Their Development, Dr. Ahmed Matloub, Iraqi Scientific Academy Press, 1982 - 1987 AD.

-١٧Detailed Dictionary of Language and Literature, Dr. Michel Assi, Dar al-Ilm lil-Malayin - Beirut, 4th edition, 1978 AD.

-١٨Dictionary of Language Standards, Abu al-Husayn Ahmad bin Faris bin Zakariya, edited by: Abdul Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.

-١٩Al-Mu'jam Al-Wasit, edited by: Ibrahim Mustafa and others, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut.

-٢٠Dictionary of Ancient Arabic Criticism, Dr. Ahmed Matloub, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyah, Baghdad,

-٢١From the Talk of Poetry and Prose, Dr. Taha Hussein, Dar Al-Maaref, Egypt, 1st ed., 1969.

-٢٢Artistic Prose in the Fourth Century AH, Dr. Turki Mabrouk, Dar Al-Jeel, Beirut, 1975.

-٢٣Nihayat Al-Ijaz fi Darat Al-Ijaz, Al-Tha'alibi (d. 429 AH).